من هذا النوع الذي يفضله هؤلاء المتأخرون ويتوصلون بفعله، ولا أن أحدًا منهم
أي من الأنبياء والمؤمنين أثر عنه أحد من السلف... فما ذكر أحد أن الكتاب والسنة الصحيحة
أن آدم وحواء فعلا ذلك أو أوصيا به أحدًا من بنيهما ولا أن نوحًا فعله أو أوصى به أحدًا
من المؤمنين به ولا أن إبراهيم أو موسى أو عيسى أو محمدًا أو غيرهم من النبيين فعل ذلك
بنفسه أو أمر به غيره من الأتباع والمؤمنين. وقد دعا هؤلاء والنبيون ربهم كثيرًا
وخاطبوه كثيرًا وتوسلوا إليه بكل الوسائل وسألوه بكل ما يسأل العبد الصالح به ربه
وخالقه وقد احتاجوا إلى ربهم كثيرًا بل ما زالوا في كل لحظة محتاجين إليه وإلى رضاه
وما يدني منه ويحظى لديه. وقد دعوه ونادوه بكل أنواع الضراعات وبكل ألسنة الحاجات
وبكل ما علموه يرضيه ويقرب منه وقد دعوه بلسان الواصل وبلسان الآمل وبضراعة
المضطر ورغبة الضر وقد طرقوا كل باب ظنوه مفضيا إلى الله مفضيا إلى رضاه وقعقعوا بكل
حلقة من ورائها أملهم الأقصى وغايتهم الكبرى. وكذلك قد أرشدوا المؤمنين إلى كل ضروب الخير
ما قصروا في شيء من ذلك لا في حق أنفسهم ولا في حق المؤمنين بهم ولكنك مع كل ذلك لا تجد أنهم
حاولوا الوصول إلى خالقهم من هذه الطريق ولا أنهم حاولوا القرب بتلك الوسيلة ولا أنهم
أرشدوا أحدًا من المؤمنين بهم إلى هذه أو إلى تلك لا بالفعل ولا بالقول، لا بالتصريح ولا
بالتلميح... هذا ما دل عليه القرآن وما دلت عليه السنة الصحيحة وليحاول كل من خالفنا في هذه
المسألة الرجوع إلى الكتاب وإلى السنة وليجد فيهما إن استطاع حرفًا واحدًا يمكن أن يعود نقضًا
لما ذكرناه أو إبطالًا له.. وإذا رجعوا إليهما فلن يجدوا شيئًا من ذلك – وهم لن يجدوه – فماذا يمكن أن
يقولوا في تعليل وتأويل وماذا عساه يكون الصواب إذا عللوا وأولوا وما القول الصحيح الذي
لا يصح أن يعدل عنه في سبب ذلك؟ إن الأمر حينئذ دائر بين احتمالين لا ثالث لهما البتة
أحدهما أن يزعموا أنهم يرون أن الأنبياء والمؤمنين – قد توسلوا بتلك الوسيلة وأنهم قد سألوا
الله بالحقوق والجاهات والحرمات والبركات وسائر ما يذكرون ولكن الكتاب والسنة الصحيحة
مع ذلك وعلى رغم أنف الرغبة عن ذكرها ~~وعن التحدث بها~~ في هذه الوسيلة وعن التحدث
بها والإنباء بها عنهم. وثاني الاحتمالين أن يزعموا أنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك ثم يزعموا مع
هذا أنه دين وقرب إلى الله وأنه وسيلة صحيحة... والاحتمالان بين كلاهما واضح جلي بطلانه
يقينًا: أما الاحتمال الأول فليس يمكن لا عقلًا ولا شرعًا ولا عادة ولا فقهًا أن يذكر الكتاب
والسنة الصحيحة أدعية الأنبياء والمؤمنين ~~الكثيرين~~ المعدودة والأنساك ثم يحذفا منها أدعيتهم
هذه الوسيلة وحدها حذفًا تامًا ~~محافظين عليه~~ ويحافظا على هذا الحذف محافظة تامة بحيث لا
تذكر في دعوة نبي واحد ولا دعوة عبد مؤمن وبحيث لا تذكر لا في الكتاب ولا في السنة
إن مثل هذا لا يحتمل وقوعه ولا يطاق الذهاب إليه. فإنه لا معنى لحذفهما كل ذلك إلا أن يكون
مقصودًا قصدًا، ولا معنى لأن يقصد الكتاب والسنة – وهما كتابا الهداية ودليلا الذاهبين
إلى الله – حذف هذه الوسيلة منهما حذفًا تامًا فلا يذكراها مرة واحدة مع أنها قد فعلت وصح
فعلها عنهم نقلا لأدعيتهم وكلامهم؛ إنه لا يمكن أن يذهب إلى هذا الاحتمال من يحترم عقله ومن
لا يبالي إلا بطعم خالص من الشوائب والأخلاط ونحن لهذا النوع من الناس نكتب وإياه
نخاطب. وأما الاحتمال الثاني – وهو الزعم بأن الأنبياء والمؤمنين بهم لم يتوسلوا بتلك
الوسيلة ولم يسألوا الله بذوات الناس ثم الزعم بأن تلك الوسيلة وذلك السؤال دين
يتقرب به إلى ~~الله سبحانه~~ الله فاحتمال أيضًا لا يمكن الذهاب إليه فإن شيئًا يجمع الأنبياء والمؤمنون
على تركه والرغبة عنه لا يحتمل أن يكون دينًا ولا يحتمل أن يكون فيه لله رضا. ودين الله
هو ما جاءت به أنبياؤه ورسله فما لم يجيئوا به كيف يكون من دينه؟ ولا ندري كيف يمكن